

سَلُوا الْمَلِيكَ

عن عائشة رضي الله عنها قالت إني سمعت رسول
الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
إلا كتُب له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة».

مَدِينَة

أبراهيم بن محمد الحَقِيل

دار ابن خزيمة

سلوان المرضى

إعداد

إبراهيم بن محمد الحقييل

دار ابن خزيمة

ح) دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحقيل، إبراهيم بن محمد

سلوان المرضي - الرياض

... ص ٤ سم

ردمك: ٠٦-٠-٨٧٤-٩٩٦٠

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الصبر أ- العنوان

٢٢/٢٧٤٨

ديوي ٢١٢، ٢

رقم الإيداع: ٢٢/٢٧٤٨

ردمك: ٠٦-٠-٨٧٤-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض، الملز

شارع الإحساء، غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ / ٤٧٦٩٩٣٣

فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد: فإن أصل هذه الرسالة مقالة نشرت في مجلة «عيادة الجندي» التابعة للخدمات الطبية في القوات المسلحة على ثلاث حلقات بطلب من أسرة التحرير المشاركة بها في مجلتهم.

وقد أعدت النظر فيها وعدلت ما يحتاج إلى تعديل، وأضفت إليها بعض الإضافات اليسيرة.

فما كان فيها من صواب فأحمد الله عليه، وما كان من خطأ فأرجو ممن اطلع عليه أن يهديني إليه لإصلاحه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

إبراهيم بن محمد الحقييل

ص ب ١٦٠ الرياض

الرمز البريدي ١١٣٢١

المقدمة

من المستقر عند المؤمن أن الله تعالى خلق العباد ليلوهم، وطلب منهم عبادته كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٦ - ٥٨]. وجعل البشر ذوي عقل وشهوة؛ فالعقل السوي يقود إلى الله تعالى وإلى العمل بشريعته واتباع أنبيائه عليهم السلام. والشهوة تجعل العبد يميل إلى الانطلاق من القيود، والسعي وراء اللذات بلا ضابط. والعبد لابد أن يخطئ، وتميل به شهوته، فيقصر في طاعة، أو يأتي معصية؛ إذ لا عصمة إلا لمن عصمه الله تعالى وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولما كان الأمر كذلك كان لا بد من كفارات تمحو الخطايا وتكفر الذنوب، وتزيد في الحسنات، وترفع الدرجات. ومن رحمة الله تعالى أن جعل هذه الكفارات كثيرة ومتنوعة؛ فمنها: ما يفعله الإنسان ويبادر إليه كالجماعات والجمعات والصيام، والتوبة والاستغفار، وسائر الفرائض والنوافل،

ومنها: ما يقع على الإنسان بلا اختيار منه كالمصائب والأمراض والشدائد والكروب والهموم؛ لكن العبد كي يؤجر عليها لا بد أن يحتسب ويصبر، ويقابل أمر الله تعالى بالتسليم، وقدره بالرضى. أما إذا تسخط وتبرم واعترض على ما قدر الله تعالى فإنه يحرم الأجر؛ بل ويكون موزوراً..

وهذه الرسالة عرض مختصر لبعض فوائد الأمراض الشرعية؛ مستدلاً لها بأحاديث من السنة النبوية. قصدي من جمعها تسلية لإخواني المرضى، وشدّ أزرهم في لأوائهم، وحملهم على الصبر في ذات الله تعالى؛ حتى يكون أجرهم موفوراً، وذنبهم مغفوراً. أسأل الله تعالى أن يجمع لهم بين الأجر والعافية، وأن يمنَّ عليهم بالصبر إنه سميع مجيب.

فوائد الأمراض

أول ما يظهر للعبد إذا أصيب بالمرض أن هذا المرض مصيبة - وهو كذلك بلا شك - لكن مع كونه مصيبة فهو نعمة للمؤمن ورحمة من الله تعالى. وفيه فوائد كثيرة. ومن تلك الفوائد للأمراض:

١- أن فيها تكفير الخطايا ومحو السيئات:

فالمرض يقابل السيئات التي يفعلها العبد فتمحى من ديوانه حتى يصبح خفيفاً من الذنوب. دلّ على ذلك نصوص كثيرة منها ما يلي:

أ - ما رواه أبو بكر بن أبي زهير الشقفي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. وكل شيء عملنا جزينا به؟ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض، ألسنت تحزن؟ ألسنت تصيبك

اللاواء؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ما تجزون به^(١).

فدل هذا الحديث على أن العبد يجزى بما عمل من سوء، وأن المرض والحزن واللاواء تقابل هذا السوء الذي عمله فتكون بمثابة الجزاء له فيحصل بذلك تكفير الخطايا.

ب - ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة إلا حطَّ الله بذلك خطاياهما كما تنحط الورقة عن الشجر»^(٢).

ج - ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى

(١) أخرجه أحمد (١١/١)، وأبو يعلى (٩٨)، وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٧٤/٣)، والبيهقي في الكبرى (٣٧٣/٣)، والطبري في تفسيره (١٠٥٢٣)، وأخرجه أحمد عن عائشة بنحوه (٢١٨/٦)، والطيالسي (١٥٨٤)، والترمذي وقال: حسن غريب (٢٩٩١)، وأخرجه أحمد عن أبي هريرة بنحوه (٢٤٩/٢)، ومسلم (٢٥٧٤)، والترمذي (٣٠٣٨)، والبيهقي (٣٧٣/٣) وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٦/٣) و (٣٨٦/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٠٨)، والبزار (٧٦٨)، وابن حبان (٢٩٢٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٥٩/٢٤) قال الهيثمي في المجمع: ورجال أحمد رجال الصحيح (٣٠١/٢).

يلقى الله وما عليه من خطيئة»^(١) ، وفي رواية الترمذي وابن حبان «وولده» بدل «ونفسه» .

فقوله : «في جسده» هو ما يصيب العبد من أمراض أو جروح أو كسور أو حروق أو نحو ذلك .

وقوله : «ونفسه» يحتمل أن المقصود بذلك الأمراض النفسية من هم وقلق وكرب ونحو ذلك ؛ فيكون مرض الإنسان على نوعين : - حسي : وهو الذي عبر عنه بقوله : «في جسده» .

- معنوي : وهو الذي عبر عنه بقوله : «ونفسه» .

على أنه في الرواية الأخرى قال : «وولده» بدل «ونفسه» وهذه الرواية لا إشكال فيها .

وقد ورد في السنة الصحيحة ما يدل على أن المؤمن تكفر عنه خطاياہ بالأمراض الباطنة كالهوم والغموم والأحزان كما تكفرها الأمراض البدنية ومن ذلك :

ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٠) ، والترمذي (٢٣٩٩) وقال : حسن صحيح ، والبخاري (١٤٣٦) ، والبيهقي (٣/ ٣٧٤) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣٤٦) ، وابن حبان (٢٩١٣) و (٢٩٢٤) .

أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١).
 وقوله: «حتى يلقي الله وما عليه خطيئة»: أي: وليس عليه
 سيئة؛ لأنها زالت بسبب البلاء»^(٢).

د - ما رواه معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
 ﷺ يقول: «ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر
 عنه من سيئاته»^(٣).

هـ - ما رواه أبو أمامة مرفوعاً: «ما من عبد يصرع صرعة من
 مرض إلا بعثه الله منها طاهراً»^(٤).

و - ما روته أم العلاء رضي الله عنها قالت: عاذني رسول الله
 ﷺ وأنا مريضة فقال: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب
 الله به خطاياها كما تذهب النار خبث الذهب والفضة»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١ - ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٨٠ / ٧).

(٣) أخرجه أحمد (٩٨ / ٤)، والحاكم (٣٤٧ / ١) وقال: صحيح على شرط
 الشيخين ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير الأوسط.
 وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد (٣٠١ / ٢)
 وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥ / ٨) قال الهيثمي: ورجاله ثقات
 (٣٠٢ / ٢) وعزاه الألباني للضياء المقدسي وابن أبي الدنيا والرويانى
 وصححه في صحيح الجامع (٥٧٤٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧) وفي
 الصحيحة (٧١٤).

وقد يتصور البعض أن الوارد في هذه الأحاديث وأمثالها من الفضل والشواب إنما هو لمن أصيب بأمراض خطيرة، أو مؤلمة جداً، أو لا يرجى برؤها. والحقيقة بخلاف هذا الظن؛ إذ يؤجر العبد على ما يصيبه وإن كان مرضاً يسيراً ما دام صابراً محتسباً. ولا شك أنه كلما عظمت المصيبة، واشتد المرض زاد الأجر؛ لكن اليسير من الأمراض فيه أجر أيضاً. . وقد دلت على ذلك نصوص منها:

- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين قال: يا رسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا، ماذا لنا منها؟ فقال: «كفارات». قال: أي رسول الله، وإن قلت، قال: «وإن شوكة فما فوقها» قال: فدعا على نفسه ألا يفارقه الوعك حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج ولا عن عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة، قال: فما مس إنسان جسده إلا وجد حرها حتى مات. جاء في رواية أحمد والطحاوي: أن الذي دعا على نفسه أبي بن كعب رضي الله عنه^(١).

قال أبو سعيد: «فما ذاقه ذائق بعد ذلك إلا وجد عليه صالباً

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠)، وأبو يعلى في مسنده (٩٩٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢١٩)، وصححه ابن حبان (٢٩٢٨) وقال الهيثمي في الزوائد: ورجاله ثقات (٣٠١/٢).

مثل النار حتى برت جسده، وحتى تركته مثل الجريدة المبراة^(١).
والمعنى: ما لمسه لأمس إلا وجد عليه صالبا، والصالب من
الحمى: الحارة غير النافض، وقوله: «حتى برت جسده» أي:
أذهبت لحمه وهزلته.

فيؤخذ من هذا الحديث ما يلي:

- أن الأمراض كفارات وقد مضى تقريره بنصوص كثيرة.
- أن التكفير للخطايا يحصل بالأمراض وإن كانت يسيرة
مثل الشوكة، أي: ألم الشوكة.

- يظهر من الحديث جواز أن يدعو الإنسان على نفسه بما
يكون مكفراً للخطايا، إذا كان لديه القدرة على الصبر
والاحتساب كما فعل أبي بن كعب رضي الله عنه؛ ولكن هذا
اجتهاد منه رضي الله عنه معارض بأحاديث منها:

١ - حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد
رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ. فقال له رسول
الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم،
كنت أقول: اللهم ما كانت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي
في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! لا تطيقه - أو لا

تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟» قال: فدعا الله له فشفاه»^(١).

٢ - حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(٢).

وهذا نهى صريح من النبي ﷺ عن أن يدعو الإنسان على نفسه، وهو عام لا مخصص له، والنهي يقتضي التحريم.

٣ - الأحاديث الدالة على أنه ينبغي للعبد أن يسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، وفي بعضها أنه أفضل الدعاء^(٣) وكذلك الأحاديث التي ورد فيها الدعاء بـ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وفي بعضها أن هذا كان أكثر دعاء النبي ﷺ^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦)، وأبو داود واللفظ له (١٥٣٢).

(٣) وهو حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «أي دعاء

أفضل؟ قال: «سل ربك العافية والمعافة في الدنيا والآخرة...».

أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٤٨).

(٤) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

قال النووي رحمه الله تعالى: «وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا: أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة: الجنة والمغفرة»^(١).
وبناء على هذه النصوص الصريحة فإنه لا يجوز للإنسان أن يدعو على نفسه بالأمراض ولو كان يريد لها كفارات لذنوبه. والتوبة والاستغفار مع العافية خير من ذلك كما هو هدي النبي ﷺ؛ إذ كان هديه الإكثار من الاستغفار والتوبة مع سؤال الله تعالى العافية.

ثم إن العبد قد يدعو على نفسه بمرض من أجل تكفير خطاياها، ثم إذا مسه المرض جزع وتسخط وشكى ولم يصبر؛ فيكون مبتلىً موزوراً نسأل الله العافية.

وأما ما ورد عن أبي رضي الله عنه فيحمل على أن هذه النصوص لم تبلغه، ولو بلغته لما دعاء على نفسه، أو أنه ذهل عنها فدعا فاستجيب له. ولا يفهم من الحديث إقرار النبي ﷺ له على ذلك؛ إذ لا دلالة منه على أنه دعا على نفسه بحضرة النبي ﷺ، كيف!! والنبي ﷺ قد أنكر على الرجل الذي دعا على نفسه بتعجيل عقوبته في الدنيا.

واشترط أبي رضي الله عنه في دعائه أن لا يرده المرض عن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢٢).

الحج والعمرة أو صلاة الجماعة أو الجهاد يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الأعمال الصالحة، وأن طلب كفارات الذنوب ينبغي أن لا يكون على حساب الأعمال الصالحة؛ لأن الأعمال الصالحة تكفر الذنوب كذلك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

٢- أن في المرض رفع الدرجات وزيادة الحسنات:

فكما أن الأمراض كفارات للخطايا فهي كذلك سبب لزيادة الحسنات ورفع الدرجات؛ ويرى ابن مسعود رضي الله عنه أن الأمراض لا تزيد في الحسنات بل تكفر الخطايا فقط؛ فقد روى أبو معمر عبد الله بن سخيرة الكوفي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الوجع لا يكتب أجراً. فكان ذلك أشد أو أشق علينا، وكان إذا حدثنا حديثاً لم نسأله عنه تفسيره حتى يبينه، قال: ولكن الله يكفر به الخطايا».

وفي رواية أخرى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الوجع لا يكتب به الأجر؛ ولكن تحط به الخطايا. الأجر بالعمل»^(١).

(١) أخرج هاتين الروايتين الطحاوي في شرح مشكل الآثار بسند صحيح (٤٦٤/٥ - ٤٦٥)، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير وحسن إسناده (٣٠١/٢)، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤٤٢/٢) برقم (١٠٨٢١)، والتمهيد (٢٦/٢٣)، والاستذكار (٢٥/٢٧).

واستحسن ابن القيم رحمه الله تعالى اجتهاد ابن مسعود فقال: «وهذه من كمال علمه وفقهه رضي الله عنه؛ فإن الأجر إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما تولد منها، كما ذكر الله سبحانه النوعين في آخر سورة التوبة في قوله في المباشر من الإنفاق وقطع الوادي: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ [التوبة: ١٢١]، وفي المتولد من إصابة الظمأ والنصب والمخمصة في سبيله وغيظ الكفار: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

فالثواب مرتبط بهذين النوعين. وأما الأسقام والمصائب فإن ثوابها تكفير الخطايا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، والنبي ﷺ إنما قال في المصائب: «كفر الله بها من خطاياها» وكذا قوله: «المرض حطة».

فالتطاعات ترفع الدرجات، والمصائب تحط السيئات^(١) اهـ.

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: «ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح؛ فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب. والمصائب ليست منها؛ بل الأجر على الصبر والرضا^(٢)».

وقال النووي: «وحكى القاضي - يعني عياضاً - عن

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١١٤ - ١١٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/١٠٩ - ١١٠).

بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة وروي نحوه عن ابن مسعود قال: الوجد لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقط»^(١).

واجتهاد ابن مسعود رضي الله عنه والعز بن عبد السلام وتأيد ابن القيم لهما متعقبٌ بأمرين:

الأول: أن البلاء يضاعف على أولياء الله تعالى، ويصيبهم أكثر من غيرهم. وهم أقل ذنبًا من سائر العباد، لا سيما الأنبياء والمرسلون عليهم السلام وقد دل على ذلك ما يلي:

أ - حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ في مرضه، فمسسته - وهو يوعك وعكًا شديدًا - فقلت: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، وذلك أن لك أجرين، قال: أجل، وما من مسلم يصيبه أذى إلا حانت عنه خطايا كما تحات ورق الشجر»^(٢).

ب - حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف. فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك! قال: «إنا كذلك. يضعف لنا البلاء، ويضعف لنا الأجر»

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦١)، ومسلم (٢٥٧١).

قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء». قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: «ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليتلى بالفقر؛ حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»^(١).

ج - حديث عائشة رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه، فقالت له عائشة: يا نبي الله، لو أن بعضنا فعل هذا لوجدت عليه. فقال: «إن المؤمنين يشدد عليهم...»^(٢).

والدلالة في هذه النصوص من وجهين:

الوجه الأول: قوله في حديث ابن مسعود «ذلك أن لك أجرين» وفي حديث أبي سعيد «ويضعف لنا الأجر» والأجر غير التكفير؛ إذ هو ثواب يناله العبد.

الوجه الثاني: لو لم يكن في الأمراض إلا التكفير؛ فإن أحوج الناس إليها أهل العصيان ولما استفاد منها الصالحون الذين

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وأبو يعلى (١٠٤١)، وأحمد (٩٤/٣)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٠٧/٤) وقال البوصيري في الزوائد: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات (٢٤٨/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥/٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢١١) وسنده صحيح.

لا سيئات لهم أو سيئاتهم قليلة. وقد دلت النصوص السابقة بمضاعفة البلاء عليهم أكثر من غيرهم مما يعني أن في الأمراض ما هو أكثر من التكفير وهو رفعة الدرجات وزيادة الحسنات.

الثاني: ما ثبت في أحاديث كثيرة تنص صراحة على أن في الأمراض والابتلاءات ثواباً رائداً عن تكفير الخطيئات ومن تلك النصوص:

أ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة»^(١).

وفي هذا الحديث قال: (أو) وهي للتنويع، يعني: إما أن يحصل التكفير، وإما أن تكتب له حسنة، ولا يحصل الاثنان، لكن يفسر هذا الحديث حديث آخر عنها رضي الله عنها قالت:

ب - إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»^(٢).
ففي هذا الحديث ذكر الأمرين: رفعة الدرجة وتكفير الخطيئة.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٢) (٥١) قال الحافظ: (أو) يحتمل أن يكون شكاً من الراوي ويحتمل التنويع وهذا أوجه... الفتح (١٠/١٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٢) (٤٦).

ج - حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله عنه خطيئة وكتب له حسنة ورفع له درجة»^(١).

فتبين من هذه النصوص أنه مع تكفير الخطايا يحصل رفع الدرجات وزيادة الحسنات ؛ ولهذا قال النووي رحمه الله تعالى بعد سياقه بعض هذه الأحاديث : «في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فإنه كلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات. وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء. . ثم ذكر قول القاضي عياض وما نقل عن ابن مسعود ثم قال عن القائل بحصول التكفير فقط دون زيادة الحسنات : واعتمد - أي القائل بذلك - على الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها مسلم المصراحة برفع الدرجات وكتب الحسنات» اهـ^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٦٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٤٧/١)، وحسنه الهيثمي في الزوائد (٣٠٤/٢) قال الحافظ في الفتح : وسنده جيد. (١٠٩/١٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٩٣/١٦).

وما دام أن النصوص مستوافرة ودالة على تكفير السيئات، وزيادة الحسنات ورفع الدرجات بالأمراض والابتلاءات فلا اجتهد مع النص، وفضل الله واسع، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد والشكر.

وقد سلك بعض العلماء مسلك الجمع بين النصوص التي فيها ذكر تكفير السيئات، وبين النصوص التي فيها زيادة الحسنات ورفع الدرجات وذلك بالقول: إن الأمراض والابتلاءات مكفرات لمن عليه سيئات، ومن لم يكن عليه سيئات فإنه يثاب على ما يصيبه بالحسنات ورفع الدرجات بقدر بلائه؛ ذلك أن الأمراض قد تنزل بمن لا ذنب له ولا خطيئة عليه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن هم دونهم من الصالحين؛ فتكون أجوراً لهم. وقد تنزل بمن له خطايا وذنوب فتكون حطة لذنوبهم عنهم. فتكون الأحاديث المذكور فيها حط الخطايا أريد بها من له خطايا. والأحاديث التي فيها ذكر الأجر ورفع الدرجات لمن لا خطايا له ولا ذنوب عليه ممن نزلت به^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على حديث عائشة: «إلا كتب الله بها حسنة، أو حط عنه بها خطيئة»: كذا وقع فيه بلفظ «أو» فيحتمل أن يكون شكاً من الراوي، ويحتمل

(١) انظر: شرح مشكل الآثار (٥/٤٧٦).

التنويح . وهذا أوجه ، ويكون المعنى : إلا كتب الله بها حسنة إن لم يكن عليه خطايا ، أوحط عنه خطايا إن كان له خطايا . وعلى هذا فمقتضى الأول أن من ليست عليه خطيئة يزداد في رفع درجته بقدر ذلك ، والفضل واسع^(١) .

يبد أن هذا المسلك معارض بحديث عائشة السابق ذكره «ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله عنه خطيئة، وكتب له حسنة، ورفع له درجة»^(٢) . إذ إن لفظ هذا الحديث وأمثاله دال على حصول مجموع ذلك لمن أصيب .

٣- أن الأمراض سبب لبلوغ المنازل العالية:

من حكمة الله تعالى في خلقه أن رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وسخر بعضهم لبعض كما جاء ذلك في عدد من النصوص . وهذه الرفعة في أمور الدنيا أو الدين من الله عز وجل يؤتيها من شاء من عباده ، لا راد لحكمه ولا معقب لأمره سبحانه وتعالى ، وقد يريد الله تعالى بعبده خيراً فيكتب له منزلة عالية في الدنيا أو في الآخرة ، وعمل هذا العبد لا يبلغ هذه المنزلة الرفيعة فيبتليه الله تعالى ، حتى يبلغه هذه المنزلة .

(١) فتح الباري (١٠/١٠٩) .

(٢) انظر تخريجه ص ١٩ هامش (١) .

ومن هذا الابتلاء ابتلاؤه في جسده بمرض أو علة أو نحوها، وقد جاءت نصوص نبوية تنص على ذلك منها:

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليكون له عند الله منزلة فما يبلغها بعمله فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغها»^(١).

٢ - حديث إبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»^(٢).

فالحديث الأول عام في كل ابتلاء، والحديث الثاني فصل ذلك، وذكر من جملة الابتلاءات: الابتلاء في الجسد، ونص على نعمة أخرى وهي أن الله يرزق هذا المبتلى الصبر حتى تتحقق له تلك المنزلة العالية.

فحري بالمؤمن أن يرضى بما قدره الله تعالى عليه من

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٠٩٥)، والحاكم وصححه (٤٩٥/١)، وابن حبان (٢٩٠٨) وعزاه الهيثمي في المجمع لأبي يعلى، وقال: رجاله ثقات (٢٩٢/٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٩٠) وعزاه الحافظ ابن حجر للإمام أحمد وقال: رجاله ثقات. انظر: فتح الباري (١١٤/١٠).

أمراض ويصبر ويحتسب، ويفرح بذلك. كما كان السلف يرون أن الابتلاء نعمة. وفي هذا المعنى يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «ما يسرني بليلة أمرضها حمر النعم»^(١). فتأمل كيف أنه رضي الله عنه يفضل المرض على نفيس المال؛ لما في الأمراض والابتلاءات من الخير الكثير للمؤمن وسروره بالمرض لا يلزم أنه يدعو على نفسه به؛ بل هو يسأل الله العافية فإن مرض فرح بذلك. وهذا من تمام الرضى.

٤- المرض دليل على أن الله أراد بعبد خيراً:

وهذا الخير لا يكون إلا للمؤمن الصابر المحتسب.. وقد دل على هذا الخير ما يلي:

١ - حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه»^(٣).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٤٢/٢) برقم (١٠٨٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، وأحمد (٣٣٢/٤)، والدارمي (٣١٨/٢)، والطبراني في الكبير (٧٣/٦)، وابن حبان (٢٨٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٥)، ومالك (٩٤١)، وأحمد (٢٣٧/٢).

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «وهذا يقتضي المصائب في المال والجسم أيضاً، وكل ذلك أجر ومحطة للوزر. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء والحمد لله كثيراً» اهـ^(١).

٣ - حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عن ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(٢).

قال الطيبي: «والمعنى: لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها فيستوفي حقه من العقاب»^(٣).

٤ - حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»^(٤).

فدلت هذه الأحاديث وما في معناها على أن الخير لا يكون إلا للمؤمن، وأن الأمراض من علامات ذلك الخير، وأن

(١) الاستذكار (٢٧/٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠)، والحاكم (٦٠٨/٤) وحسنه الألباني في المشكاة (١٥٦٥)، والصحيحة (١٢٢٠).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة (٤/١٣٥٠)، وانظر: تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي (٧/٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه (٢٥٠٧)، وانظر: تحفة الأحوذى (٧/٧٧٧).

تعجيل العقوبة في الدنيا خير من تأخيرها إلى الآخرة.

٥. المريض يرزق الصبر:

من نعمة الله تعالى على المؤمن أنه إذا تصبر في البلاء صبره الله عز وجل، وأعطاه من القوة والقدرة ما يطيق به ذلك البلاء الذي نزل به؛ حتى إن الناظرين للمبتلى قد يكونون نفسيًا أشد تألمًا منه بما حل به من بلاء!! وكم شاهدنا زوارًا لمرضى تأثروا بما حلّ بالمريض، وظهر ذلك الأثر عليهم وربما استمر مدة من الزمن، وتجدد أن نفسية المريض مرتاحة، وأن معنوياته عالية، رغم أن المرض قد يكون خطيرًا.

وهذا سببه الرضى بقدر الله تعالى، والتسليم لأمره، مع تصبير النفس على عدم الجزع والخوف؛ فيرزقه الله تعالى الصبر والرضى. وقد جاءت نصوص في هذا المعنى منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر البلاء» وفي لفظ: «وينزل الصبر على قدر المصيبة»^(١).

فدل الحديث على أن المصاب يرزق الصبر على قدر مصيبته

(١) أخرجه البزار كما في الزوائد لابن حجر (١٥٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (١٦٦٤)، وعزاه في صحيح الجامع للبيهقي والحاكم (١٩٥٢).

وهذا سرُّ تحمله وقوته، وقد مضى قوله ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»^(١).

فالعبد المبتلى إذا رضي وسلم رزقه الله تعالى الصبر، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ومن يتصبر يصبره الله»^(٢).

مسألة في حكم الصبر على المصائب؟

الصبر على المصائب - ومنها الأمراض - ليس مباحاً أو مندوباً كما يظن البعض؛ بل هو واجب، إذا قصر فيه المصاب يكون آثماً ويحرم خيراً كثيراً؛ لأنه بعدم الصبر يحصل الجزع المؤدي إلى التسخط وعدم الرضى، ومن ثم الاعتراض على أقدار الله سبحانه وتعالى، وهذا مع ما فيه من ذهاب أجر كثير يُخل بعقيدة العبد، وفي مشاققه لله تعالى في حكمه وأمره، وكل ذلك مما لا يجوز. وسببه تخلف الصبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «فإن الصبر

(١) انظر تخريجه ص (٢٢) هامش (٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

على المصائب واجب»^(١).

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن الصبر:
«وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان
نصفان: نصف صبر ونصف شكر»^(٢).

معيار الصبر المطلوب:

ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - أن الصبر يتحقق
بثلاثة أمور:

- ١ - حبس النفس عن الجزع والسخط.
 - ٢ - حبس اللسان عن الشكوى للخلق.
 - ٣ - حبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر^(٣).
- وللعبد في ذلك مقامات أربع:

الأول: مقام المعجز: وهو مقام الجزع والشكوى والسخط.
وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً ودينًا ومروءة، وهو
أعظم المصيبتين.

الثاني: مقام الصبر: وهو إما أن يكون لله تعالى، وإما أن
يكون للمروءة الإنسانية.

(١) مجموع الفتاوى (٨/١٩١).

(٢) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٥٢).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١٣)، وانظر: المدارج (٢/١٥٦).

الثالث: مقام الرضى: وهو أعلى من مقام الصبر. وفي وجوبه نزاع، والصبر متفق على وجوبه.

الرابع: مقام الشكر: وهو أعلى من مقام الرضى؛ فإنه يشهد البلية نعمة؛ فيشكر المبتلى عليها^(١).

٦- أن المرض يؤدي إلى المحاسبة وعدمه يؤدي إلى الغرور:

وهذا الحكم أغلبي، وثابت بالتجربة والمشاهدة؛ فإن الإنسان إذا مرض رجع إلى ربه، وثاب إلى رشده، وبدأ يحاسب نفسه على التقصير في الطاعات، ويندم على الانغماس في الشهوات والمحرمات وسبب ذلك والله أعلم:

أ - أن المرض يحسن العبد بذنوبه الأجل والموت.

ب - وإما لأن الألم الذي يحسه المريض يجعله يهرع إلى الله عز وجل.

ج - وإما لأن المرض يكسر الشهوات فيكون همُّ العبد حال مرضه الشفاء منه.

عن سعيد بن وهب قال: انطلقت مع سلمان إلى صديق له يعود من كنده فقال: «إن المؤمن يصيبه الله بالبلاء ثم يعافيه

(١) عدة الصابرين (٩١).

فيكون كفارة لسيئاته ويستعتب فيما بقي . وإن الفاجر يصيبه الله تعالى بالبلاء ثم يعافيه ؛ فيكون كالبعير عقله أهله لا يدري لما عقلوه ثم أرسلوه فلا يدري لما أرسلوه»^(١) .

وقال علي بن الحسين رحمه الله تعالى : «إذا لم يمرض الجسد أشر ، ولا خير في جسد ما يشر»^(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «مصيبة تقبل بها على الله ، خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله»^(٣) .

٧- أن المرض سبب لرجوع العبد إلى ربه:

وهذه الفقرة متممة للفقرة السابقة ، فالابتلاء سبب في رجوع العباد إلى ربهم إذا أراد بهم خيراً ؛ ولذا يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام : ٤٢] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (البأساء) يعني : الفقر والضيق في العيش . (والضراء) هي : الأمراض والأسقام والآلام ، (لعلهم يتضرعون) : أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٤١/٢) برقم (١٠٨١٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٣/٢) برقم (١٠٨٢٦) .

(٣) تسلية أهل المصائب (٢٢٦) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٨٠/٢) .

ويقول تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قال وهب بن منبه: «ينزل البلاء ليستخرج به الدعاء»^(١).

وقال سفيان بن عيينة: «ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه»^(٢).

وقال يزيد بن مسرة: «إن العبد ليمرض وماله عند الله من عمل خير؛ فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من خطاياهم فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله فيبعثه الله إن بعثه مطهراً أو يقبضه إن قبضه مطهراً»^(٣).

٨. استمرار عمل المريض ما دام المرض يحبس به عنه:

جاءت نصوص كثيرة عن رسول الله ﷺ تدل على أن المريض يكتب له عمله ما دام أن المرض هو الذي يحبس به عن العمل ولولاه لعمله. ومن هذه النصوص ما يلي:

١ - حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»^(٤).

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (١٣٢).

(٢) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٢٢).

(٣) عدة الصابرين (١١٥).

(٤) أخرجه أحمد (٤١٠ / ٤)، والبخاري (٢٩٩٦)، وابن أبي شيبة

(٤٤١ / ٢)، وابن حبان (٢٩٢٩).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : «وهو في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها»^(١).

٢ - حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من أحد يتلى في جسده إلا أمر الله الحفظة فقال : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو صحيح ما كان مشدوداً في وثاقي»^(٢).

٣ - حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به : اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إلي»^(٣).

٤ - حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي

(١) فتح الباري (١٣٦/٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٠/٣)، وابن عبد البر في الاستذكار (٢٣/٢٧)، ونحوه عند أحمد (١٩٨/٢)، والحاكم وصححه على شرط الشيخين، قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح (٣٠٣/٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣/٢)، والبغوي في شرح السنة (١٤٢٩)، والدارمي بنحوه (٣١٦/٢)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٤٨/١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٠/٤)، وصححه الهيثمي في الزوائد (٣٠٣/٢).

ﷺ قال: «ليس من عمل يوم إلا وهو يختتم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا! عبدك فلان قد حبسته، فيقول الرب: اختموا له مثل عمله حتى يبرأ أو يموت»^(١).

مسألة: هل يكتب العمل السيئ للمريض؟

دلت النصوص السابقة على أن العمل يكتب للمريض، ولا شك في كتابه العمل الصالح؛ لأن الأحاديث فيه. لكن هذه النصوص لا تدل صراحة على الاقتصار على كتابة العمل الصالح وإنما يؤخذ ذلك من نصوص أخرى نصت على أن المكتوب هو العمل الصالح ومنها:

١- حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ابتلي المسلم ببلاء في جسده قيل للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه»^(٢).

٢- حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - السابق ذكره في رواية للإمام أحمد في المسند: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه أحمد (١٤٦/٤)، والحاكم وصححه (٣٠٨/٤)، والبيهقي في شرح السنة (١٤٢٨)، وعزاه الألباني لابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وصححه كما في صحيح الجامع (٥٤٣٢)، والسلسلة الصحيحة (٢١٩٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٤٨/٣ - ٢٥٨)، والبيهقي في شرح السنة (١٤٣٠)، وحسنه الألباني في تخريجه للمشكاة (٤٩٢/١).

«إذا اشتكى العبد المسلم قال الله تعالى للذين يكتبون: اكتبوا له أفضل ما كان يعمل طلقاً حتى أطلقه»^(١).

٣- حديث أبي موسى - رضي الله عنه - السابق ذكره في رواية أبي داود والبغوي قال النبي ﷺ: «إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم»^(٢).

فالحديث الأول قال فيه: «اكتب له صالح عمله» وفي الثاني قال: «أفضل ما كان يعمل» وفي الثالث قال: «كتب له كصالح ما كان يعمل» ومفهوم هذه الأحاديث أن العمل السييء لا يكتب، ويؤيد ذلك ما يلي:

أ - أنه ثبت أن العبد إذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة.

ب - أن عمله للسيئة غير متيقن فيما لو كان صحيحاً.

ج - أن الله تعالى رحيم بعباده، ورحمته وسعت كل شيء، وفضله وإحسانه على كل حي.

إذا فالمرض مع كونه مكفراً للخطيئات، ماحياً للسيئات، رافعاً للدرجات؛ فإنه أيضاً يحجر العبد عن مقارفة المعاصي

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٠٩) وله روايات وطرق استوفاهما الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٣٢).

(٢) انظر: سنن أبي داود (٣٠٩١).

والمحرمات. والطاعات التي كان يعملها حال صحته يكتب له أجرها ما دام المرض يحبسها عنها. ويتضح من ذلك: استفادة المريض من مرضه ثلاث فوائد عظيمة هي:

١ - كتابة عمله الصالح الذي حبسه عنه المرض.

٢ - إقلاعه عن المحرمات لانشغاله بمرضه.

٣ - عدم كتابة السيئات التي شغله المرض عن مقارقتها.

وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى لعباده المرضى المحتسين تظهر لمن تأمل ذلك وتدبره قلله الحمد والشكر.

٩ - أن الأمراض سبب لدخول الجنة والنجاة من النار:

أما كون المرض سبباً للنجاة من النار؛ فقد ورد ذلك في ذكر الحمى وأنها حظ المؤمن من النار، والحمى هي: ارتفاع الحرارة في مصطلح الطب الحديث، ومن تلك النصوص التي تدل على ذلك:

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله ﷺ: «أبشر فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٠)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣٤٥).

والوعك هو: الحمى، وقيل: ألم الحمى^(١).

٢ - حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار»^(٢).

أما كون المرض سبباً في دخول الجنة فقد جاء ذلك في ذكر من فقد بصره فصبر عوضه الله الجنة، وكذلك المرأة التي كانت تصرع أخبرها عليه الصلاة والسلام بأنها إن صبرت فلها الجنة. فهذه النصوص في شأن الحمى والصرع تدل على أنهما سبب لدخول الجنة.

والأمراض تكفر الخطايا، وتزيد في الحسنات وهذان الأمران من أسباب دخول الجنة؛ إذ يخفف المرض من سيئات العبد في الميزان، ويرجح كفة الحسنات.

ينضم إلى ذلك أن الأمراض من جملة المصائب والمكاره التي يكرهها العبد والنبي ﷺ يقول: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»^(٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٦٣/١٦).

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٧٦٥)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٥/٤)، والهيثمي في الزوائد (٣٠٦/٢)، والدمياطي في المتجر الرابع (١٨٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم واللفظ له (٢٨٢٢).

١٠- أن الصحة لا تكون محموددة دائماً:

مما لا شك فيه أن الصحة نعمة من الله تعالى، والعبد مأمور أن يسأل الله تعالى العافية. وإن ابتلي فهو مأمور بالصبر؛ لكن ليس بالضرورة أن يكون الرجل الصحيح محموداً دائماً. بل هو أقرب إلى الذم؛ لأن المؤمن قريب من الابتلاء حتى يكفر الله عنه خطايا. والذي لا يمرض أبداً لا يحصل له هذا الخير من تكفير الخطايا ورفع الدرجات.

لذا جاءت النصوص النبوية تفيد أن الذي لا يبتلى أبداً محل ذم، وأن من علامة محبة الله تعالى للعبد ابتلاءه كما في الحديث: «وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم»^(١).

أما كون الصحة ليست محموددة على الدوام فهناك نصوص تدل على ذلك منها:

١ - حديث أنس رضي الله عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: ابنة لي كذا وكذا ذكرت من حسناتها وجمالها فأثرتك بها فقال: «قد قبلتها» فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشتك شيئاً قط، قال: «لا حاجة لي في ابتك»^(٢).

(١) هذا قطعة من حديث أنس (إن عظم الجزاء...) أخرجه الترمذي وحسنه (٢٣٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤/٣)، وأبو يعلى (٤٢٣٤)، والبيهقي في الشعب (٩٩٠٩)، قال الهيثمي في الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات (٢٩٤/٢).

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخذتك أم ملدم؟» قال: وما أم ملدم؟ قال: «حرب بين الجلد واللحم» قال: ما وجدت هذا قط، قال: «فهل أخذك الصداع؟» قال: وما الصداع؟ قال: «عرق يضرب على الإنسان في رأسه» قال: ما وجدت هذا قط، فلما ولى قال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»^(١).

قال ابن حبان رحمه الله تعالى: «قوله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا» لفظة إخبار عن شيء مرادها الزجر عن الركون إلى ذلك الشيء، وقلة الصبر على ضده، وذلك أن الله جل وعلا جعل العلل في هذه الدنيا والغموم والأحزان سبب تكفير الخطايا عن المسلمين؛ فأراد ﷺ إعلام أمته أن المرء لا يسكاد يتعري عن مقارفة ما نهى الله عنه في أيامه ولياليه، وإيجاب النار له بذلك إن لم يتفضل عليه

(١) أخرجه أحمد (٣٣٢/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٥)، والبزار (٧٧٨)، والبيهقي في الشعب (٩٩٠٧)، والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٣٤٧/١)، وصححه ابن حبان (٢٩١٦)، وحسنه الهيثمي (٢٩٤/٢).

بالعفو، فكان كل إنسان مرتهن بما كسبت يده، والعلل تكفر بعضها عنه في هذه الدنيا لا أن من عوفي في هذه الدنيا يكون من أهل النار» اهـ^(١).

٤ - حديث يحيى بن سعيد أن رجلاً جاءه الموت في زمان رسول الله ﷺ فقال رجل: هنيئاً له، مات ولم يبتل بمرض. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك وما يدريك لو أن الله ابتلاه بمرض يكفر به من سيئاته»^(٢).

٥ - ما رواه الرباب القشيري قال: «دخلنا على أبي الدرداء نعوذه؛ فدخل عليه أعرابي فقال: ما لأمركم؟ - وأبو الدرداء يومئذ أمير - قال: قلنا: هو شاك، قال: والله ما اشتكيت قط - أو قال: والله ما صدعت قط - فقال أبو الدرداء: أخرجوه عني، ليتم بخطاياهم، ما أحب أن لي بكل وصب وصبته حمر النعم، إن وصب المؤمن يكفر خطاياهم» وفي لفظ لابن أبي شيبة فقال: «بؤس لهذا يموت بخطيئاته»^(٣).

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٧٩/٧).

(٢) أخرجه مالك (٩٤٢) قال ابن عبد البر: لا أعلم هذا الخبر بهذا اللفظ يستند عن النبي ﷺ من وجه محفوظ اهـ. (٥٧/٢٤) قال الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح: «مرسل صحيح الإسناد» (٤٩٦/١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٩٨/١١)، وابن أبي شيبة (٤٤٢/٢) برقم (١٠٨١٨).

٦ - عن سعيد بن مسروق عن منذر قال: «جاء ناس من الدهساقين إلى عبد الله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم قال: فقال عبد الله: إنكم ترون الكافر أصبح الناس جسمًا، وأمريضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصبح الناس قلبًا وأمريضهم جسمًا، وإيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكتتم أهون على الله من الجعلان»^(١).

١١- أن الأمراض تصلح القلوب:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض لا يحس به إلا من فيه حياة. فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آم البدن ومشاقها»^(٢).

ويقول أيضًا: «أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يستفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٥) واللفظ له، وأحمد في الزهد

(٢٠٩)، ونحوه عند هناد في الزهد (٢٤٧).

(٢) شفاء العليل (٥٢٤).

منه . فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطفوا
وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من
الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة
حتى إذا هدّبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي
عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه» أهـ^(١).

١٢- أن الأمراض تذكر العبد نعمة الصحة:

ذلك أن العبد قد يرفل في الصحة زمناً طويلاً فيغفل عن التفكير
في عظيم هذه النعمة، ويقصر في شكر المولى سبحانه وتعالى
عليها، فلما يبتلى بالمرض يعرف قدر هذه النعمة العظيمة؛ لأن
المرض قد يعطله عن مصالحه الدينية والدنيوية. ولذلك قال النبي
ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»^(٢).
فالإنسان قد يوجد عنده الفراغ؛ لكنه لا يتتفع به لانشغاله بمرضه
وآلامه. ولا تكتمل نعمة الفراغ إلا مع وجود الصحة؛ فيحصل

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

الشكر على الصحة بسبب تذكير المرض لعظيم نعمتها .

١٣- أن الأمراض تنبه العبد إلى حال إخوانه المرضى :

العبد حال صحته قد لا يدرك معاناة إخوانه المرضى سواء أكانت هذه المعاناة جسدية كالآلام والأوجاع التي يثن المريض تحت وطأتها، أم كانت نفسية كالخوف من المرض ونتائجه، أم كانت المعاناة بما يحيط بالمريض من أهل وأولاد؛ فيتأثرون لمرضه لاسيما إذا كان مرضه يقعه عن العمل ولا دخل لأهله وأولاده إلا من عمل عائلهم؛ فيصبح المريض يعاني نفسياً بسبب ما يحيط بأهله وأولاده من قلة ذات اليد مع معاناته لآلام المرض ونتائجه .

وكذلك أهله وأولاده يعانون فقد عائلهم، وذهاب نفقتهم . فكيف إذا انضم إلى ذلك مصاريف الفحص والعلاج والرعاية الصحية وغير ذلك . فالمقصود أن العبد إذا مرض وعانى تلك المعاناة، وتفاقت عليه المشكلات فإن هذا يدعو إلى تذكر حال إخوانه المرضى ممن هم أقل رزقاً منه، وأضعف حالاً، وأكثر أولاداً؛ فيرثي لحالهم، ويدعوه ذلك إلى مساعدتهم ومساعدة أولادهم بالنفقة والصدقة ونحو ذلك .

١٤- الأمراض تكسب العبد أصدقاء جدد:

إذا رقد المريض على السرير الأبيض؛ فإنه سيتعرف على

إخوانه المرضى سواء أكانوا معه في الغرفة أم الجناح أم القسم؛ حيث يصلون في مصلى واحد، ويأنس بعضهم ببعض؛ فيكسب بذلك إخواناً يدعون له ويدعو لهم. وربما استمرت العلاقة مدة طويلة حتى بعد زوال المرض، ومن مظان إجابة الدعاء دعوة المريض.

وما أعظمها من نعمة حينما يتعرف العبد على عدد كبير من إخوانه المرضى فيلجأون على الله تعالى بالدعاء له، وذكره بالخير؛ لما كان يسديه لهم من معروف وإحسان، ومن من المسلمين لا يريد أن يدعو له إخوانه فكيف إذا كان هؤلاء الداعون له ممن يظن أنهم قريبون من الإجابة؟!

الخاتمة

في نهاية هذه الرسالة المختصرة ظهر لك - أيها القارئ - ما ينتج عن الأمراض من فوائد وثمرات عظيمة لمن كان مؤمناً بالله صابراً محتسباً.

فيجب على من أصيب بالمرض أن يحتسب ويصبر، ويحمد الله تعالى على نعمه، ويعتبر بما أصابه، ثم يستعرض هذه الفوائد وغيرها، فإن ذلك سيكون عزاءً له وتسليّة؛ بل ويكون سبباً في فرحه بالمرض والبلاء إذا علم ما فيه من الأجر والثواب.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الفهرس

الصفحة	المحتوى
٤	المقدمة
٦	في الأمراض تكفير الخطايا
١١	هل يجوز أن يدعو الإنسان على نفسه بالمرض؟
١٤	في الأمراض سبب لبلوغ رفع الدرجات وزيادة الحسنات
٢١	الأمراض سبب لبلوغ المنازل العالية
٢٣	المرض دليل على أن الله أراد بعبد خيراً
٢٥	المريض يرزق الصبر
٢٦	حكم الصبر على المصائب
٢٧	معيار الصبر المطلوب
٢٨	المرض يؤدي إلى المحاسبة
٢٩	المرض سبب لرجوع العبد إلى ربه
٣٠	استمرار عمل المريض
٣٢	هل يكتب العمل السيئ للمريض؟
٣٤	الأمراض سبب لدخول الجنة والنجاة من النار
٣٦	الصحة لا تحمد دائماً
٣٩	الأمراض تصلح القلوب
٤٠	الأمراض تذكر العبد نعمة الصحة
٤١	الأمراض تنبه العبد إلى حال إخوانه المرضى
٤١	الأمراض تكسب العبد أصدقاء جدد
٤٣	الخاتمة

جمال المصيلة

محمد بن عبد الله الهيداني
امام وخطيب جامع العزيز عبد السلام



سأله

في صحوب سر

الزعمه والنفسين والقرنين

مبدأ
العلماء والعلماء
على الجملين في صبح الوجود

الاحمدية

الأسبحة

سيرة الإمام والغرب

محمد بن عبد الله الهيداني
إمام وفقيه جامع الفروع عبد السلام

مدني

الجزئية

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أَهْمِيَّتُهَا وَسَانِئُهَا

دَاهِنُ عَمْرِو الْعَبَّاسِي

٢٠٠٠

